الحرب الاهلية والحرب الوطنية

خالد جابر

تطرح الحرب الاهلية في لبنان ، مسألة نظرية بالغة الدقة · فالحروب الاهلية ليست مسائل عابرة في تاريخ الشعوب · بل هي احدى المحطات الرئيسية التي تصنع التحولات الكبرى في التاريخ العاصر · غير انها ، في الحالة اللبنانية ، ليست مجرد حرب أهلية داخلية ، بل هي امتداد للحرب الوطنية التي تخوضها الامة العربية ضد عدوها الصهيوني ـ الاميركي · هنا تطرح مسألة هامة : ما هي علاقة الحرب الاهلية بالحرب الوطنية ؟ في أية لحظة تاريخية تصبح الحرب الاهلية شرطا لازما لنمو واستمرار الحرب الوطنية ؟ ربما ، تقدم دراسة الحرب الاهلية في لبنان ، بكل بطولاتها ومراحلها، أجوبة أولية على هذه المسألة ·

ان النقطة الاولى التي تسترعي الانتباه ، هي كون الثورة الفلسطينية تشكل طرفا رئيسيا في هذه الحرب · والواقع ، ان هذه المشاركة ليست جديدة على الحركة الثورية الفلسطينية · فتاريخ الثورة الفلسطينية ، الى جانب كونه تاريخ صدامات واسعة مسلحة وانتفاضات جماهيرية في وجه الاحتلال الصهيوني ، هو تاريخ صراعات وصدامات مسلحة في الداخل العربي ، مع القوى الاكثر رجعية وارتباطا والتي تتحكم في سلطة كيانين عربيين ، هما الاردن ولبنان ·

ان شعار « كل البنادق نحو العدو » الذي رفعته الثورة هو شعار صحيح، لانه يركز على مسألة التناقض الرئيسي بين مجموع الطبقات والفئات الوطنية العربية وعدوها الوطني · لكنه ليس مقولة للعبادة · فهو حين يفهم كشعار تكتيكي من أجل التخلي عنه عند أول سانحة ، يقود الى حجب التناقض الرئيسي ، ويغرق مسألة الخلاص الوطني في ركام من الشعارات الطفولية البراقة ، ويؤدي بأصحابه الى الوقوع في الانحراف اليميني والتبعية · أما اعتباره صنما لا يمكن المساس به ، واعتبار كل صدام مع أي نظام عربي ، وفي أى شرط ، انجرافا بالثورة عن مهمتها الاساسية فانه يقود الى الذيلية · فأي شعار سياسي صحيح ، يجب عدم التعامل معه بشكل كهنوتي · البنادق يمكن